خليل قنديل في «الأعمال القصصية»:

سرد متوهج يتربص بشخصيات من الواقع ليعيد انتاج هواجسها ببراعة

عمان ـ «القدس العربي»

من يحيى القيسي:

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت صدر مجلد «الأعمال القصصية» للقاص الأردني خليل قنديل، و ضم مجموعاته القصصية الأربع التي أصدرها خلال الفترة من 1980 ـ 2002 وهي: «عين تموز»، «الصمت»، «حالات النهار»، «وشم الحذاء الثقيل»، ويعد قنديل واحدا من أبرز القصاصين في الأردن الذين بدأوا الكتابة في نهاية السبعينيات وظهرت قصصهم بداية الثمانينيات، وربما لم تنل تجربته بعد حقها عربيا، وهذا الأمر تحكمه استحقاقات اعلامية وجغرافية تنالها في العادة عواصم عربية معينة، اضافة الى أن قنديل لا يجيد عادة الاحتفاء بابداعه وتسويقه، وقد ساهمت غربته في الخليج حيث عمل نحو عشر سنوات محررا وصحافيا ثقافيا وفنيا في العديد من الصحف الاماراتية منها الخليج، اضافة الى اقامته فترة من الوقت في مدينة اربد شمال الأردن، وصدور مجموعاته من دور نشر متباينة، اضافة الى الوضع المحبط للكتاب الأردنيين من ناحية ندرة قراء أعمالهم وسوء توزيعها في ما أشرت اليه من قبل من عدم أخذ ما يستحق من النقد والترويج لقصصه. واليوم فان قنديل يعيش في العاصمة عمان ويشارك بنشاط في الصحافة الثقافية من خلال عمله محررا وكاتبا في «الدستور» اليومية، وهو لا بد يتطلع كغيره من القصاصين والشعراء والروائيين الأردنيين الى المزيد من الاهتمام بنشر اصداراته واضاءتها نقديا محليا وعربيا.

قصص قنديل تنهل من الواقع لكنها لا تأتي لتصويره كما هو فوتوغرافيا، بل تعيد صياغته جماليا، عبر سرد ينثال حارا، شائقا، لا يتركه القارىء الا بعد أن يدخل عوالمه وطبقاته ليكتشفها ويتفاعل معها، وكأنه جزء من شخصياته، ويبرع قنديل في الوصف الماركيزي حتى ليخيل للقارىء أن ثمة كاميرا في رأس قلمه، كما أنه يدخل الى جوانية الشخصيات ليعبر بجرأة عن انكساراتها وعذاباتها، وربما انتصاراتها الصغيرة أيضا، قصّه مسبوك بعناية، وبتشذيب بالغ، يكشف عن حرفية عالية.

وقد جاء مجلد الأعمال القصصية الذي ضم 400 صفحة بمقدمة للناقد فخري صالح، كما أقامت رابطة الكتاب الأردنيين حفل توقيع لهذه الأعمال في مقرها شارك فيها الناقد د. محمد عبيد الله، والروائي جمال ناجي.

هنا مقتطفات مما كتب عن هذه الأعمال التي تعرف بها من ناحية أساليبها الفنية والموضوعات التي تناولتها، وخصوصيتها الأدبية:

فخري صالح: واقعية خشنة وفانتازيا

يشتغل خليل قنديل في مجموعاته القصصية الأربع على مادة الحياة اليومية، أي على التفاصيل الصغيرة والمنمنمات والحواف الحادة في حياة الجموع الشعبية والأفراد الساعين لكسب العيش في الأسواق والشوارع، وهو يعتمد في عمله القصصي على الملاحظة الدقيقة لحركة هؤلاء الأفراد وتلك الجموع التي تحضر بحيوية لافتة، كاشفة عن الآلام العظيمة لرجال صغار ونساء صغيرات يحتشدون في المساحة الضيقة لقصصه، ان شخصياته بدءا من مجموعته الأولى «وشم الحذاء الثقيل» وانتهاء بمجموعته الرابعة «عين تموز» تنتمي الى الفئات الشعبية الفقيرة، وفي أحيان كثيرة الى الفئات المعدمة المسحوقة والمهملة المتروكة على أطراف المجتمع وفي عالمه السفلي، ولعل التوتر الحاد القائم في قصص قنديل ناشىء عن الدراما المعقدة التي يرسمها القاص لشخصياته بحيث تبدو المسافة بين الطموح والواقع شاسعة الى الحد الذي تتمزق عنده ارواح الشخصيات التي يقوم القاص بتخليقها ووضعها في مواجهة جور الحياة وعسف البشر وشظف العيش الذي لا يرحم.. تغلب على قصص قنديل الواقعية الخشنة والوصف التفصيلي الدقيق لمشاعر شخصياته ومونولوجاتها، كما أن القاص في سياقات أخرى، يعيد سرد الحادثة الواقعية في اطار العجيب والغرائبي والسوريالي والاقتراب من روح الطبيعة العاصفة المدمرة، ما يذكر بالقصة والرواية القوطيتين ممثلتين بكتابات أبي القصة القصيرة الأمريكية، وربما في العالم كله، إدغر الن بو، وعلى هذين المسارين: الواقعية الخشنة، والفانتازيا الواقعية يمكن توزيع قصص خليل قنديل بدءا من مجموعته الأولى «وشم الحذاء الثقيل» التي كتبت قصصها خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي، وصولا الى مجموعته «عين تموز» التي نشرها عام 2002، وان كانت قصصها في معظمها كتبت خلال تسعينيات القرن الماضي، ويمكن أن نقرأ حركة قصص قنديل وتطور عوالمها في قصص المجموعة الرابعة والأخيرة حيث يبدو القاص الذي ينتمي الى جيل السبعينيات عمرا ورؤية قصصية، وكأنه يقوم في «عين تموز» بتلخيص عوالمه السابقة وتكثيفها..

جمال ناجي: مبدع لم يصب بلعنة الغزارة

في اعماله غير الكاملة، نجد انفسنا امام سلسلة مربكة من الاحداث الرابضة بين السطور اللينة وخلفها كالقطط المتربصة، ثمة ما هو عادي في هذه الاحداث، لكن النهايات المفاجئة للقصص تشعر القارىء بأن الكاتب يقدم هذا العادي باعتباره لعنة تستحق الاستعاذة والرجم، الامر الذي يؤكد المحتوى الفلسفي غير المباشر الذي تنطوي عليه تجربته القصصية، خصوصا في مجموعتيه، «وشم الحذاء الثقيل» و«حالات النهار».

لم يصب خليل بلعنة الغزارة التي احالت الابداع الى كتابة آلية اضاعت فرص النجاة للكتاب المطبوع، كما انه مصر على ممارسة حقه الدستوري والانساني في الكسل، والتأمل، والصبر، وانتظار اللحظات الحانية التي تتجول الفكرة خلالها عارية امام ناظريه ثم تختفي كالغاويات في الف ليلة وليلة، ليستعيدها من جيوب ذاكرته، ويكتبها برحيق روحه المحبة للحياة.

بعض شخوص القصص عند خليل تمارس الديكتاتورية بالاصالة، وهو امر مشروع اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الكاتب لم يتمكن من ممارسة هذه الدكتاتورية في حياته، فاين يذهب بشحنات القهر الذي تراكم على مدى ثلاثين عاما هي عمر تجربته القصصية؟ على من يطلق رصاص روحه؟ وماذا يفعل في ذلك الكائن المستبد المقيم فيه كما في كل انسان، اذا ما اصر هذا المقيم على الظهور الى العلن ؟

لا حل افضل من زجه في زحام الاسواق والمقاهي والنوافذ والبيوت الزاخرة بالمقهورين والمكبوتين، ولتكن المعركة داخل العمل الابداعي لا داخل الكاتب: هكذا تعامل خليل مع ذلك المستبد المقيم في اعماق كل واحد منا، وهو ما يبدو جليا في مجموعته «الصمت».

وعلى العكس مما يذهب اليه الباحثون ببسالة عن الحقيقة، فان من يقرأ اعمال هذا المبدع يكتشف بسهولة انه غير معني بانتصار الحقيقة او اي من اقاربها او صديقاتها من الفلسفات المدرسية، اجل، ثمة فلسفات مدرسية تثير الحفيظة، لأنها لم تقتنع الى الان بأن المبدعين كفوا منذ زمن، عن بحثهم عن الحقيقة، بل انهم يتمنون ان لا يعثر احد عليها، خشية سجنها او تشويهها او قلبها، وبالتأكيد فان القبض عليها سيلغي حريتها، لذا لم يكن غريبا ان لا يخضع كاتبنا الى هاجس الحقيقة في ابداعاته القصصية خصوصا في مجموعته الرابعة «عين تموز».

أؤكد بان هذا المبدع مغامر متآمر رغم ارتدائه بردة الكاتب المسالم، فهو حين يكتب، يكمن في الزوايا الخفية التي تمكنه من التصويب على اهداف بالغة الدقة، واحيانا، على اهداف منخفضة وحساسة، متآمر حتى على شخصياته القصصية التي سرعان ما تجد نفسها أسيرة كمائنه التي ينصبها لها وللقارىء في ان معا.

والأنكى انه احيانا يزدري العواطف، واحيانا يقدمها باعتبارها فضائل، الأمر الذي يربك القارىء ويدعوه الى مراجعة وتنقية جحافل العواطف الخام التي تنتابه من وقت لآخر.

د.محمد عبيد الله: اضاءة لعالم الفقراء والمهمشين

كأنما ندب قنديل نفسه ليكون صوت العادين والمهمشين والفقراء ربما بعيدا عن التأثيرات المباشرة للواقعية بتأثيراتها الاشتراكية وقريبا من مفهومها الطبيعي كما عند قاص رائد مثل يوسف ادريس، ونحسب أن قنديل التقى كثيرا مع مذهب ادريس أكثر من غيره، ولكنه بالتأكيد قدم أداء مغايرا ومختلفا عن ادريس نظرا لاختلاف البيئة والتجربة، ولكن يجمعهما منزع قصصي واحد يتصيد دهشة العادي ودبيب البشر العاديين الذين قلما تنجّمهم الكتابة وتلتفت الى الدراما التي يصنعونها.

في معظم قصصه يغيب البطل المتميز أو الخارق، ويحضر عوضا عنه: الانسان العادي، لكن القصة تكتشف جوانب تميزه وتخلق له بطولة من نوع خاص، وفي مثل هذه القصص نكتشف مع القاص الدهشة المخبأة في البشر العاديين من خلال تفجير طاقات مستترة في أولئك الناس يصعب اكتشافها دون الانطلاق من رؤية تنتصر لنوعية محددة من البشر وترتاب في غيرهم. ولأن القصة شديدة الالتصاق بالنمط العادي والمهمش والابطال، فانها تحاول أن تقترب من أنفاس البشر وروائحهم وملامس محيطهم بكل ما فيه من أمارات مميزة مخبأة، فاذا نحن أمام بشر يتنفسون ويتحركون وليسوا مجرد صور مكتوبة أو موصوفة... هذه المقدرة على بث الحياة في الشخصية مسألة معقدة تلزمها الخبرة ودرجة التمثل والاحساس بالشخصية مع المحافظة على موضوعية السرد ولو ظاهريا أو تقنيا.. الشخصية عند خليل كأناه من لحم ودم وليست شخصية ورقية كما هي حقيقتها السردية الفعلية.

الشخصية شديدة الوضوح في قصص قنديل، وهو لا يميل الى التجريد أو اطفاء الملامح، ولذلك فشخصياته واضحة بصورتها الخلقية والمسلكية وبالمهنة التي تمتهنها وبالأحوال التي تواجهها، وغالبا ما تتحرك وفقا للواقع وتحولاته، وليس بناء على أفكار أو ثقافات تتأثر بها، الحياة والتجربة المباشرة هي رأسمال الكاتب ورأسمال شخصياته أيضا،....ومما يميز تجربة قنديل كثرة الشخصيات وغناها، رغم انتمائها الى بيئة واضحة هي البيئة الشعبية سواء في الريف وعالم القرية أو في الأحياء الفقيرة للمدينة وهوامشها. واذا ما ظهرت الشخصية خارج هذه البيئات فغالبا ما يكون ذلك مصحوبا بنوع من العداء للبيئة العصرية الجديدة أو النظيفة، ولذلك تكره شخصيات قنديل الفنادق والمطاعم والمكاتب والأبنية الفارهة الصقيلة وتشعر بأنها أماكن تآمرية مريبة بصورة من الصور ولا تطمئن الا في الأماكن الطبيعية المعبأة بأنفاس البشر وفعلهم، كما في الأسواق الشعبية والأزقة المعتمة.

ومن المناخ الشعبي الواقعي نفسه يتفجر بعد فرعي صالح للتوسع، يتمثل فيما يمكن تسميته بالبعد الطقوسي والأسطوري، وهو غالبا يتأتى من معتقدات شعبية تتصل بالسحر والطاقات الخفية في الكائنات والأشياء والأماكن، فهناك شخصيات من الدراويش أو ممن يعتقد الناس بكراماتهم وطاقاتهم الخفية في البيئات الشعبية، وهناك اشارات الى الفراسة والمقدرة الحدسية عند بعض البشر. وهناك أيضا طاقات في بعض الأماكن من مثل العتبة المرتبطة بمسكن الشياطين ونشاطها، وكذلك فكرة الحسد واصابة العين وغير ذلك مما يتصل بنشاطات تقع في مجال الروح والمعرفة الحدسية والطاقة الخفية، وتتنوع أشكال الافادة من هذه المناخات الطقوسية والروحية بحسب غاية الكاتب وطبيعة القصة، ولكنه في غالب الأحيان يوظفها من موقع ايجابي لا يرفضها أو يندد بها أو يتشدد في نقدها، وأحيانا ترد في سياقات محببة تبدو داعمة لها. واذا ربطنا هذا الموقف الايجابي بما تبديه قصصه من ارتياب شبه مطلق بطبقات المتعلمين والشخصيات العصرية المتعلمة تأكد عندنا دفاع قنديل عن عالم كان يؤول الى التلاشي في الربع الأخير من القرن العشرين ويأخذ هذا الدفاع صورا متعددة تصل الى الدفاع عن طاقاته وسحره واعتقاداته.

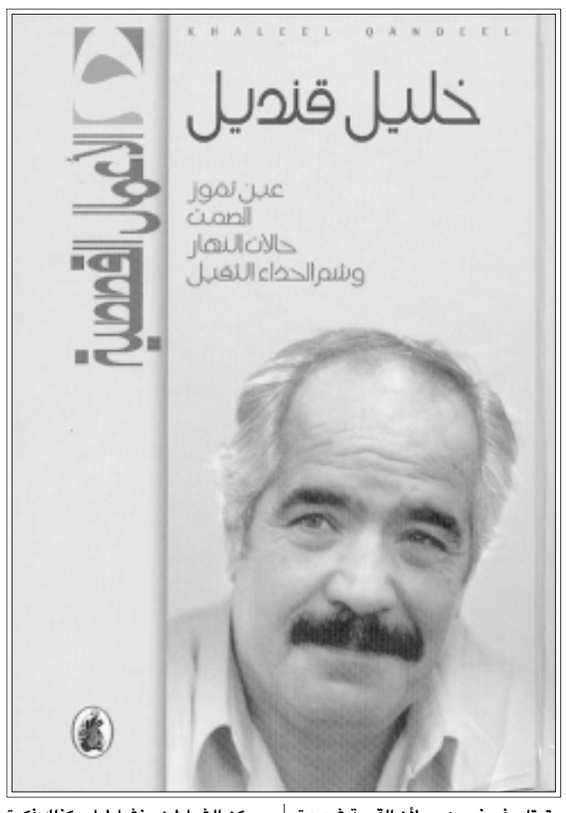

جماليات اللغة القصصية

تتميز لغة قنديل بالحركة والحيوية تبعا لحيوية شخصياته وحركتها الدائبة، وهو حريص على أن تكون اللغة نسيجا حيا تتنفس من خلاله الشخصية وتتحرك بحريتها دون قيود أو عبء لغوي باهظ. وبصفة عامة تبدو لغته أقرب الى اللغة الحديثة التي طورتها الصحافة ووسائل الاعلام وأعطتها قدرا واسعا من التسامح والحرية بعيدا عن منطق التفاصح أو منطق: قل ولا تقل. وهي لذلك بعيدة عن اللغة البيانية التي يلجأ اليها بعض الكتاب ويحاولون الارتفاع بها الى مستوى قريب من اللغة الشعرية ذات الطبيعة المجازية المغايرة للغة البسيطة أو لغة الحياة. كما أنه يميل الى اللغة المحددة التي توصل حدثا أو تقدم موقفا على نحو دقيق بسيط ولا يميل الى أسلوب التزيين والترصيع المجاني أو الفائض. وقد يلجأ الى الأسلوب التصويري عبر صياغات استعارية وتشبيهية ولكنها تظل محدودة في حجمها ومساحتها كما أنها تظل تابعة للسرد لا موجهة له، الصورة الموازية والصورة السردية عند قنديل ليست شعرية بالمعنى الدقيق وانما هي نوع من التصوير السردي المقصود والمكمل لمجرى السرد، وغالبا ما يلجأ الى طريقة مخصوصة في صياغة جملته التصويرية، بحيث تبدو جملة صارمة وقاطعة بعيدة عن التسيب الشعري والسيولة التعبيرية.

مجلة «مجرة» المغربية تخصص عددا عن «الثقافة والأدب الشعبيين»:

إعادة اكتشاف الذات الجماعية ومقاومة الاختراق

الرباط ـ «القدس العربي»

من الطاهر الطويل:

يحفز الوضع السياسي والثقافي الراهن في العالم العربي، أكثر، على ضرورة الاهتمام بالثقافة الشعبية والارتقاء بها إلى العملية الإنتاجية، من خلال الاشتغال عليها باعتبارها ثقافة ومعرفة تشخص حالات الوجدان الجماعي وتعبر عن رؤية للعالم. والمثقف بهذا التوجه نحو تعبيرات المجتمع يعزز الموقف ضد سياسة تعطيل الوجدان الشعبي من خلال الإعلاء من تعبيراته الرمزية.

تلك بعض خلاصات العدد الجديد من مجلة «مجرة» الفصلية التي تصدرها دار البوكيلي للطباعة والنشر بالمغرب، وساهم في هذا العدد الذي حمل عنوان «الثقافة والأدب الشعبيان» مجموعة من النقاد والأدباء والباحثين، وهم: عباس الجراري، مصطفى يعلى، محمد أنقار، أحمد حافظ، سعيد يقطين، بوسلهام الكط، أحمد زياد محبك، ليلى مسعودي، محمد سعيد سوسان، المختار التزنيتي.

في دراسة تحت عنوان «نحو تأصيل الدراسة الأدبية الشعبية بالمغرب: نموذج (من وحي التراث)»، يشير الأديب والناقد مصطفى يعلى إلى أن التراث والأدب الشعبيين كانا يقابلان بموقف سلبي في المغرب خلال مرحلة ما قبل ستينات القرن العشرين، ويقول إن المثقفين المغاربة كانوا يقفون موقف ازدراء وتحقير من الأدب الشعبي وما يمت إليه بصلة، إلى حد أنه كثيرا ما نُظر إلى المحاولات القصصية الرسمية التي كتبها بعض الكتاب المغاربة خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي نظرة استفزازية من لدن أصحاب الأقلام المحافظة، الذين عمدوا في مواجهتهم لها إلى المقايسة على القصص الشعبي باعتباره كلام عجائز وتسلية، لينتقل التحقير من هذا القصص إلى القصص الرسمي ذاته. وفاتهم إدراك أن الأدب الشعبي هو أيضا أدب حامل لقيم نبيلة ورموز عميقة بعيدة الدلالة، تتجسد عبر مكونات وأدوات جمالية ومعالم أسلوبية غاية في الروعة والإتقان.

ولكن الدكتور يعلى يشير إلى جهود اعتبرها استثنائية وقليلة كان أصحابها يمتلكون وعيا بجدوى الأدب الشعبي خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب، معتبرا أن هذه اليقظة النسبية تجاه الأدب الشعبي ترجع إلى الشعور بفضل الجماهير الشعبية في محاربة المحتل في نكران ذات، مما مكن من التخلص منه؛ فضلا عن الإحساس العام بالذات الوطنية ومحاولة دعمها بمختلف المبررات، بما فيها المبررات التراثية التي تثبت عراقة الأمة وجدارتها. ثم يتوقف الدارس عند كتاب المفكر المعاصر الدكتور عباس الجراري الذي يحمل عنوان «من وحي التراث» باعتباره أول تجربة فعلية في سياق تأصيل الدراسة الأدبية الشعبية في المغرب.

وكتبت الباحثة والأديبة زهور كرام بحثا تحت عنوان «نحو الانفتاح على الثقافة الشعبية»، مما جاء فيه: إن انفتاح المثقف على الثقافة الشعبية (المحلية) أو ما يسميه المفكر المغربي عبد الله العروي بالثقافة العضوية، هو انفتاح على الشعور الجماعي، وهو إدراك لخصوصية تجارب المستويات التعبيرية، وفي هذا إغناء نوعي للثقافة. إن المثقف، باعتباره يشتغل على إعادة إنتاج الخطابات عبر الكلمة والصورة والإشارة واللغة والإيقاع ومختلف أشكال التعبير، فإنه يعيد إنتاج إدراك جديد بهذه الثقافة التي ينتجها المجتمع، بناء على وضعيتهم وتفكيرهم. وتخلص الباحثة إلى القول إن الانفتاح على هذه الثقافة يجعل المجتمع يتحول بكل فئاته إلى مكونات فاعلة في تسيير شؤون الوطن، وفي تدبير شؤونه. وبهذا الشكل أيضا يمكن للشعوب مقاومة مختلف أشكال الاختراق التي تهدف إلى سلب وجدان الشعوب من خصوصيتها في معنى الحياة.

واختار الباحث عبد الله بن عتو لدراسته عنوان «التدين الشعبي: الآليات والمجال نحو إثارة الإشكال»، إذ يوضح أن نصوص أدب التدين الشعبي توجد في المجالات والظواهر الآتية: اعتقاد الناس في الكائنات العلوية والسفلية من الجن والعفاريت والمردة والهواتف وأرواح الموتى، اعتقاد الناس في الأمكنة والجهات مثل الأضرحة والزوايا والأماكن المسكونة بالجن والآبار والخرب والوديان وعيون المياه، الاعتقاد في استقراء البشر للغيب ويدخل في بابه الاعتقاد في السحر والكشف عن غموض المستقبل والتعزيم على المرضى، الاعتقاد في أشياء تجلب الحظ وأخرى تقترن بالنحس. وبالإضافة إلى العادات والتقاليد التي تشكل المشترك الاجتماعي للمغاربة، تطرق الباحث إلى وسائل التعبير الأدبية كالسيرة النبوية وسير الأولياء والصالحين والأمداح النبوية والأغاني الدينية.

وفي مقاله المعنون بـ«من ذاكرة الثقافة الشعبية» يحلل الباحث بوسلهام الكط دلالة «البركة» بين الثقافة الشعبية والفلسفة، مشيرا إلى أن «البركة» كقوة خفية غير مرئية للجميع مرتبطة في الذهنية بأولياء الله ورجال الدين والمتصوفة. ويقول الباحث إن «البركة» تصبح إشكالا يشوش عقلية الإنسان العاجز عن التفسير والتحليل والفهم والمعرفة. كما يصبح النقد الفاضح والبناء طريقة من الطرق التي توضح وتظهر المختفي وتنتقد الثقافة الساذجة غير الواعية التي تخلط بين العجز والقدرة، بين العقل واللاعقل، بين الغش والصدق، بين الخرافة والعلم... في حياتنا البشرية.

وتحت عنوان «وحدة الحكايات الشعبية» يقدم الدكتور أحمد زياد محبك دراسة مقارنة تنصب على حكاية شعبية واحدة ذات روايات مختلفة في البلاد العربية، كحكاية الطائر الأخضر أو شجرة العرعر، ويقارنها بحكاية مشابهة لها في اللغة الألمانية، ويوضح ما بينهما من وجوه اتفاق واختلاف، ويفكك عناصرها المكونة ويربطها بمثيلاتها في الأسطورة والدين والأدب والتاريخ، ويخلص الدارس إلى القول بوحدة الحكاية الشعبية العربية على الرغم من تعدد أشكال رواياتها، ويرى أنه من الصعب تحديد زمان الحكاية أو مكانها أو الأصل فيها.

واختار الناقد والأديب محمد أنقار التوقف عند كتاب مغربي قديم نسبيا يحمل عنوان «أدب الطفولة المغربية» لمؤلفه محمد الجعفري، ويحلله انطلاقا من نظم الحكايات ومحاولة صياغتها شعرا. أما الباحثة ليلى مسعودي فركزت دراستها على الحكاية الشعبية في الشمال الغربي المغربي، وقاربتها مقاربة سوسيولسانية، ساعية إلى ضبط الأبعاد الاجتماعية وإبراز مدى تأثيرها على الحكاية، وكذا الوصول من خلال الحكاية إلى معرفة المجتمع وما يتداول فيه من معتقدات وتقاليد.

وفي دراسة بعنوان «السيرة الشعبية العربية والمتخيل العربي»، يؤكد الدكتور سعيد يقطين أن السيرة تاريخ شعبي، لأنها التاريخ الذي سجلته الذاكرة الجماعية العربية الإسلامية بانتصاراته وانكساراته، وظلت ترويه وتتناقله بطرقها الخاصة عبر الزمن، من خلال رواة محترفين. كما أنها ـ باعتقاد الباحث نفسه ـ تمثل أرقى وأكمل الأنواع السردية العربية. أما العلامة عباس الجراري فيحلل الزجل المغربي ويتطرق إلى أنواعه ويبرز تمظهراته الإبداعية. وفي مجال القراءات النقدية، يحلل الناقد والشاعر أحمد حافظ سؤال المرجعية في ديوان «مخ السيكان» للزجال محمد الزروالي، ويقرأ الدكتور مصطفى يعلى كتاب «الحكاية الخرافية للمغرب العربي» للمؤلف عبد المجيد بورايو، كما يقدم يعلى مجموعة «حكايات عربية: قصص الأجداد في متناول الأحفاد» التي أعدها الأديب والباحث محمد سعيد سوسان ونشرها بين دفتي كتاب. وبهذه النخبة من المواد الثرية والكتاب المتميزين، تكون مجلة «مجرة» ساهمت، بدورها، في إعادة الاعتبار للثقافة الشعبية المغربية والعربية عموما، وأولتها المكانة العلمية التي تستحقها.

أحزان صغيرة

من ارشيف مخرج سينمائي غريب الاطوار

زياد خداش *

نسيان

شعرة طويلة منسية في ساق امرأة جميلة جدا، تجلس المرأة في مقهى بانتظار رجل جديد، الساقان اليانعتان ملتفتان فوق بعضهما البعض بينما بقايا حبات مطر خفيف يسيل على الزجاج بجانب طاولة المرأة، هل هي دموع الزجاج أم دمه أم أسئلته؟ كنت اختبىء في شرفة منزل لصديق مسافر، ارى كل شيء امامي وكاميرتي لم تكن بهذا الجذل والانفعال منذ حملتها على كتفي وتجولت بها في ضياعات واحزان واسرار الناس البسطاء العاديين، الشعرة اللعينة ملفتة للنظر لكن المرأة لا تراها ولا تحسها، فقد نسيتها في زحمة تفقد مناطقها الأخرى، والإنسان ينسى بطبيعته، يدخل الرجل مبتسما وقويا، يرفل في سحابات عطر لا يذهب، يجلس أمام المرأة الجميلة جدا، تهبط النظرات هناك فيما يشبه سياحة في بلاد لينة، المرأة لا تستهجن النظرات فهي مطلوبة ومنتظرة وتقليدية، تتوقف نظرات الرجل هناك حيث تنتصب الشعرة، كلص مكشوف وأهوج، يضطرب الرجل، يهرش رأسه، تبتسم المرأة الجميلة جدا، فقد ظنت أن اضطراب الرجل ناتج عن سحر ساقيها، ينهض الرجل معتذرا لقضاء حاجته، تزداد ابتسامة المرأة، فاضطراب الرجل الرائع وصل الى درجة الهرب الى الحمام، تنشغل المرأة المبتسمة والمبتهجة بقراءة صحيفة مرمية بالصدفة على الطاولة، الساقان تتأرجحان بخفة وبراءة كطفلين ضلا الطريق ويلهوان الان على خط سكة قطار سريع قادم، يتأخر الرجل، ابتسامة المرأة تتوسع، تقترب من حدود ضحكة، وحده النادل الشاب المستغرب كان يعرف ان المرحاض

فارغ

فارغ تماماً

من الرجال

دمامل

الكاميرا المتطفلة تختبئ الآن تحت درج عمارة، المخرج غريب الأطوار الذي يعاني من هوس ملاحقة أحزان النساء الصغيرة في الشوارع البعيدة والعمارات المكتظة يلصق عينيه النهمتين في مؤخرة الكاميرا، وينتظر: المرأة التي تبدو جميلة فقيرة على درج الطابق الأول وقفت مرتبكة ناظرة بقلق فوق وتحت، كانت صاعدة لتحضر الدواء لأبيها المحتضر من عيادة مجانية تابعة لجمعية خيرية، وبعد أن اطمأنت من عدم وجود أحد، تنهدت هامسة: يا الله حكالي الدكتور يومين وبتروح هاي الدمامل، رفعت فستانها الأسود، كاشفة عن فخذ مليء بدمامل حمراء صغيرة.

راحت تهرش فخذها فاتحة فاها متأملة وضجرة. في لقطة ذكية و سريعة أدار المخرج الماكر الكاميرا باتجاه نافذة بيت مقابل العمارة، كان هناك رجل في الستين يحرك لعابه مستثارا من التماع فخذ احمر مشتعل لامرأة كان يراها بعينيه المعذبتين تمارس العادة السرية، على درج الطابق الأول. كان يهمس لنفسه مرتجفا : يا الله كل هذه الحمرة ! إلى أين تذهب؟؟. من الذي سيطفئ نارها بعد قليل؟؟

حصان

تمشي المرأة الجميلة في وسط المدينة المكتظة بالناس، فجأة أرى عربة حصان قادمة مسرعة من آخر الشارع، يهرب الناس من أمام العربة، المرأة كانت تفكر في ما شغل تفكيرها حين دهمتها العربة، وقعت المرأة الجميلة على الأرض، واندلقت أغراضها خارج حقيبتها، شغلت فورا كاميرتي وصوبتها نحو المرأة الممددة على الارض بخجل كبير، لم تتألم المرأة رغم التواء كاحلها أو بالأحرى لم تنتبه للألم، هل أجلته إلى وقت آخر؟ كاميرتي كانت مركزة على كاحلها مرة وعلى عينيها المرتعبتين مرة أخرى كانت تنظر حولها خجلى ومضطربة بسبب تحلق الناس حولها، الناس ذهلوا حين نهضت المرأة بسرعة رغم التواء كاحلها، تابعتها بالكاميرا، يداها تتحركان بعصبية على الأرض وهما تبحثان عن أغراضها، كانت تبدو وكأنها تبحث عن غرض خطير او مهم، اعتقدت أنها تبحث عن دولاراتها الكثيرة التي تناثرت هنا وهناك أو أقراطها الذهبية وأوراقها، لكنها تركت كل شيء وخطفت عن الأرض فوط الكوتكس، وهربت مسرعة ناسية ألم كاحلها امام أعين المارة الذين هجموا فيما بعد على أوراقها النقدية، و منهم أنا.

درج

كان الرجل الخمسيني صاحب الابتسامة التي لا تتوقف، الطبال سابقا في فرق موسيقية توقفت بسبب الانتفاضة، قصير القامة والاعرج مع بدانة خفيفة يصعد درج العمارة التي يسكن في غرفه سطوحها، لم اكن اعرف ما الذي ينتظره هناك، زوجة وابناء ام سرير بارد متعفن ام اصدقاء ام اب عجوز، ام ماذا؟ كنت الاحقه بكاميرتي منذ اشهر، كنت اعرف ان هذا الرجل لديه من الاحزان الخفية ما يكفي لاخفاء مدينة كاملة عن الوجود، في عتمة رام الله ما زال يصعد الطبال السابق الدرج وانا خلفه مع كاميرتي اصعد حافيا، كنت اعرف ان عدد طبقات العمارة هو عشر، لكن الغريب اني ما زلت اصعد منذ نصف ساعة، ولم اصل بعد للسطح، بينما ظل الطبال القصير متمازجا مع لهاثه ما زال يترنح على جدران الدرج، امامي، الهي، ما زلت اصعد الدرج والظل المكسور امامي، منذ ساعتين، لم اصل بعد. الى اين تأخذني ايها الطبال السابق؟.

سواد

لم اكن اعرف اسم الشارع في البداية، لكني حين عرفت ان اسمه الرسمي حسب سجلات بلدية رام الله شارع الحرية، اجتاحني ما يشبه شعورا بالسكرة المفاجئة في مسجد او كنيسة، الشارع يقع بالقرب من مطعم دارنا، بجانبه بيوت قديمة جدا وعلى الطرف الاخر هناك السفارة الالمانية، مما يعطي انطباعا بتصالح المعاصرة مع الاصالة او بتواطئهما، لا تسير السيارات في هذا الشارع وحين يحدث ان تسير فهي نادرة، ومرتبكة ومخالفة للقانون، حتى المشاة لا يشاهدون هنا بكثرة، كم هو غريب هذا الشارع! حملت كاميرتي وكمنت بها في حقل مشجر اول الشارع، رحت انتظر فرائسي من نساء ورجال القت بهم الدنيا على قارعة التعاسة، امرأة بملابس سوداء وحقيبة سوداء، تقترب، كأنها تنتظر احدا ما، امرأة تبدو مألوفة، هيئتها وطريقة مشيها، وتلفتها، كأني اعرف كل ذلك بل ولمسته، سيارة من الطرف الاخر من الشارع تقترب، المرأة تمشي باتجاه السيارة، كاميرتي تلاحق المرأة االتي غطت شعرها بمنديل، تفتح المرأة الباب، في تلك اللحظة السريعة وبين فتح الباب وانغلاقه تخلع المرأة منديلها بعصبية حلوة وفرحة، الهي، انها------ امعقول؟؟ لا لا ليست هي، مستحيل، فزوجتي اقصر من هذه المرأة و----، اركض باتجاه الباب وقبل ان تتحرك السيارة كنت ارتمي على زجاجها، تاركا كاميرتي تتحطم.

---

* كاتب من فلسطين

«عن امل لا شفاء منه» لفواز طرابلسي

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر عن شركة «رياض الريس للكتب والنشر» (بيروت) كتاب للمفكر والباحث د. فواز طرابلسي بعنوان: «عن امل لا شفاء منه ـ يوميات حصار بيروت 1982».

يتناول الكتاب فصلا سابقا من العدوان الاسرائيلي المتكرر على لبنان وصفا وتأريخا وتحليلا، فيما يشهد هذا البلد عدوانا جديدا صيف 2006.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

«بسبب عدوان صيف 2006 يكتسب نشر هذه اليوميات راهنية خاصة. وما من شك في ان القارىء سوف تغريه المقارنات بين التجربتين. وسوف يلقى في حرب 1982 تكرارا لمشاهد ومواقع ومجازر شاهدها او خبرها او سمع عنها في صيف 2006. كأن الماضي يستبق الحاضر ويرهص به. لن ادخل في المقارنات. لكل حدث خصوصيته وان يكن يجمع بينهما تصاعد العدوانية الاسرائيلية وضراوة المقاومة اللبنانية ونجاحها في احباط اهداف العدوان».

الكتاب يقع في 110 صفحات من الحجم الوسط.

اديب صعب.. هموم بصرامة الفلسفة وطلاوة الشعر

بيروت ـ من جورج جحا:

في قراءة كتاب اديب صعب الاخير وعنوانه «هموم حضارية» يليه عنوان فرعي هو «في الثقافة والسياسة والنهضة المنشودة» ما قد يجعل القارىء يتذكر ما يروى عن النعامة من ان لها قدرة غير عادية على الهضم اذ انها تحول حتى الحديد الى طعام.

الدكتور اديب صعب الاستاذ الجامعي والباحث والشاعر اللبناني.. في ثقافته الفلسفية والادبية الواسعة والعميقة يتسم في هذا المجال بتلك القدرة الى تخوله البحث في الموضوعات الفلسفية والاجتماعية والسياسية بصرامة الفكر الفلسفي والنقدي وهضم هذه الموضوعات والتعبير عنها بطلاوة الشعر.

انه هنا يذكر بالنعامة في القدرة على الهضم وكذلك بتعبير اخر قد يكون اشتق من جذر اسمها نفسه الا وهو «النعومة» في التعبير عن امور معقدة.

جاء كتاب صعب في 237 صفحة كبيرة القطع وصدر عن «دار النهار» للنشر في بيروت.

صعب الذي عرض موضوعات كتابه في «تمهيد» قال لرويترز متحدثا بحق عن انطباق عنوان الكتاب الرئيسي والفرعي على محتواه.. «هموم حضارية».

الهموم تتجاوز الاهتمامات. «اهتمّ»، «انهمّ».. تحويل الاهتمام الاكاديمي الى انهمام او هم وجودي «كياني». والمسائل التي وردت في الكتاب تشغل المؤلف حقا. وتصنيف هذا الكتاب يضعه في خانة واسعة جدا من العلوم الانسانية والاجتماعية و«الانظمة الفكرية».. التاريخ والاجتماع والسياسة والتربية والادب والدين هي في نظره «متجاورة ومترابطة ولا غنى عنها للثقافة العامة من اجل نهوض المجتمع».

في الكتاب تركيز على شعار عزيز لدى صعب هو «النهضة العربية المنشودة» وقد رافقه زمنا اذ كان شعارا لمجلة «الازمنة» التي تولى رئاسة تحريرها في النصف الثاني من ثمانينات القرن المنصرم. وقد اشتمل الكتاب على عدد من افتتاحياتها التي تناولت موضوعات ومشكلات لا تزال راهنة.

ولصعب اربعة كتب في فلسفة الدين هي «الدين والمجتمع» و«الاديان الحية» و«المقدمة في فلسفة الدين» و«وحدة في التنوع». وله ايضا مجموعات شعرية منها «اجراس اليوم الثالث» و«مملكتي ليست من هذا العالم».

وقد جاء كتاب صعب في ثلاثة اقسام اولها في ثلاثة فصول حملت عناوين رئيسية هي «لبنان بين تعددية المجتمع ووحدة الدولة» ثم «الاثر الانجيلي والانجلو ساكسوني لدى نخبة من المفكرين» والفصل الثالث هو «انطون سعادة وهاجس النهضة».

القسم الثاني توزعت فصوله الثلاثة على العناوين التالية شارل مالك في «المقدمة» التي جمعت عددا من مقالات الراحل ومحاضراته. العنوان الثاني هو خليل حاوي في «فلسفة الشعر والحضارة»، اي الكتاب الذي اعدته الدكتورة ريتا عوض عن اعمال الشاعر حاوي النثرية. اما الفصل الثالث فتناول فيه المؤلف وليم صعب في «حكاية قرن» و«الديوان»، وهما مجلدان ضخمان وسجلان مهمان لوليم صع